فلسطين قضية مصريّة

(١٧٩٨ ـ ١٩١٤)

جلال السيد

في السنوات الاخيرة، طرأت على العقل والوجدان المصريين نغمة سياسية غريبة، تتنكر لجهود الحركة الوطنية طوال سبعين عاماً، وتتجاهل حقائق التاريخ، وتتعامى عن الاحداث اليومية. هذه النغمة هي الترويج لابتعاد مصر من القضية الفلسطينية، بحجة ان ما قدّمته، وتحمّلته، أكثر من طاقتها؛ فقد خاضت من أجل فلسطين أربع حروب، وضحّت بحوالى مئة ألف شهيد، وتحمّلت أعباء مالية ومادية فاقت طاقتها؛ ومن حقها، اليوم، ان تهتم بقضاياها، ولا تتطلع الى خارج حدودها.

من هنا جاء اهتمامنا بطرح القضية الفلسطينية من منظور انها قضية مصرية، من خلال استقراء أحداث التاريخ ومحاولة فهم الواقع. وحين نتوقف، قليلاً، عند هذا المنظور، فنحن لا نتجاهل الدوافع الاخرى التي تحرّك المدافعين عن القضية الفلسطينية، سواء أسياسية كانت أو اجتماعية أو قومية أو دينية. نتابع الأحلام والأطماع الصهيونية على الأراضي المصرية في التقائها مع الهجمات الاستعمارية على مصر منذ الحملة الفرنسية حتى الآن؛ نتابع الأهداف الاستعمارية والصهيونية في عزل مصر عن الأقطار العربية، وضرب جيشها الوطني كلما قوي هذا الجيش وأصبح قادراً على الدفاع عن الوطن والتطلع الى خارج حدوده لتحقيق أمن الوطن والالتقاء باخوته العرب؛ نتابع خطة الاستعمار والصهيونية في محاولة استنزاف موارد مصر وطاقاتها، ومحاولة تخريب اقتصادها، والسيطرة على العقول فيها. والى جانب ذلك، نرصد دور الحركة الوطنية، وموقف الأحزاب والهيئات السياسية، من القضية الفلسطينية، من بداية العشرينات حتى الآن، ونتوقف عند الذين تطوعوا للدفاع عن فلسطين واستشهدوا على أرضها منذ حركة عزالدين القسّام (١٩٣٥)، ونسجّل جمعيات «نصرة الشعب الفلسطيني» منذ الثلاثينات، و«اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين» في الأربعينات، والانضمام الى الثورة الفلسطينية منذ الستينات، وكذلك لجان مناصرة ومساندة الشعب الفلسطيني.

يحرك الجميع الاحساس بالخطر الصهيوني. ويقف الجميع دفاعاً عن النفس ازاء الغزو الاستعماري الصهيوني. وقد كانت مصر، وما زالت، هدفاً من أهداف الاستعمار والصهيونية، منذ الحملة الفرنسية على مصر العام ١٧٩٨؛ حيث بدأ اهتمام الدول الاستعمارية، خاصة بريطانيا وفرنسا، بالتطلع الى تركة «الرجل المريض» ـ الامبراطورية العثمانية. وكانت البداية بالمناطق ذات الوضع الاستراتيجي (مصر وسوريا). وكانت مصر ساحة للصراع بين فرنسا وبريطانيا. وكان تدمير الاسطول الفرنسي في ابي قير، وحين ذهب نابليون الى سوريا، واجه، أيضاً، بريطانيا. ومن خلال التكالب الاستعماري على تأمين التجارة وفتح أسواق جديدة والبحث عن المواد الخام، وما حدث